

تفسير البحر المحيط

@ 502 (سقط : لتهدى إلى صراط مستقيم ، صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض
ألا إلا الله تصير الأمور) .

الظاهر أن { وَقَالَ } ماض لفظاً ومعنى ، أي { وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا } في
الحياة الدنيا ، ويكون يوم القيامة معمولاً لخسروا ، ويحتمل أن يكون معنى { وَقَالَ } :
ويقول ، ويوم القيامة معمول لو يقولوا ، أي ويقولوا في ذلك اليوم لما عاينوا ما حل
بالكفار وأهليهم . الظاهر أنهم الذين كانوا أهليهم في الدنيا ، فإن كانوا معهم في
النار فقد خسروهم ، أي لا ينتفعون بهم ؛ وإن كانوا في الجنة لكونهم كانوا في الجنة
لكونهم كانوا مؤمنين ، كآسية امرأة فرعون ، فهم لا ينتفعون بهم أيضاً . وقيل : أهلوهم
ما كان أعد لهم من الحور لو كانوا آمنوا ، والظاهر أن قوله : { أَلَا إِنَّ
الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقْتَرِمٍ } من كلام المؤمنين ؛ وقيل : استئناف إخبار من الله
تعالى . .

{ مِّن قَيْدٍ أَن يَأْتِيَهُ يَوْمٌ } ، قيل : هو يوم ورود الموت ، والظاهر أنه يوم
القيامة . و { مِّنَ اللَّاهِ } متعلق بمحذوف يدل عليه ما مر ، أي لا يرد ذلك اليوم من ما
حكم الله به فيه . وقال الزمخشري : { مِّنَ اللَّاهِ } : من صلة للأمرد . انتهى ، وليس
الجيد ، إذ لو كان من صلته لكان معمولاً له ، فكان يكون معرباً منوناً . وقيل : { مِّنَ
اللاه } يتعلق بقوله : { يَأْتِيَهُ } ، من قبل أن يأتي من الله يوم لا يقدر أحد على رده
{ مَالَكُمْ * مِّن مَّالٍ جَأٍ } تلجأون إليه ، فتخلصون من العذاب ، ومالكم من إنكار
شيء من أعمالكم التي توردكم النار ، والنكير مصدر أنكروا على غير قياس . قيل : ويحتمل أن
يكون اسم فاعل للمبالغة ، وفيه بعد ، لأن نكر معناه لم يميز . { فَإِنَّ أَعْرَاضُوا }
الآية : تسلياً للرسول وتأنيس له ، وإزالة لهمم بهم . والإنسان : يراد به الجنس ، ولذلك
جاء : { وَإِنَّ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ } . وجاء جواب الشرط { فَإِنَّ الْإِنْسَانَ } ولم يأت
فإنه ، ولا فأنهم ، ليدل على أن هذا الجنس موسوم بكفران النعم ، كما قال : { إِنَّ
الْإِنْسَانَ لَطَّالِمٌ كَفَّارٌ } ، { إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ } . .
ولما ذكر أنه يكفر النعم ، أتبع ذلك بأن له ملك العالم العلوي والسفلي ، وأنه يفعل ما
يريد ، ونبيه على عظيم قدرته ، وأن الكائنات ناشئة عن إرادته ، فذكر أنه يهب لبعض
إناثاً ، وبعض ذكوراً ، وبعض الصنفين ، ويعقم بعضاً فلا يولد له . وقال إسحق بن بشر :
نزلت هذه الآية في الأنبياء ، ثم عمت . فلو طأ أبو بنات لم يولد له ذكور ، وإبراهيم ضده ،

ومحمد صلى الله عليه وسلم) وعليهما ولد له الصنفان ، ويحي عقيم . انتهى . وذكر أيضاً مع لوط شعيب ، ومع يحي عيسى ، وقدم تعالى هبة البنات تأنيساً لهن وتشريفاً لهن ، ليهتم بصونهن والإحسان إليهن . وفي الحديث : (من ابتلي بشيء من هذه البنات فأحسن إليهن كن له ستراً من النار) . وقال واثلة بن الأسقع : من يمن المرأة تبكيرها بالأنثى قبل الذكر ، لأن الله تعالى بدأ بالإناث . وقال الزمخشري : فإن قلت : لم قدم الإناث على الذكور مع تقدمهم عليهن ، ثم رجع فقدمهم ؟ ولم عرف الذكور بعد ما نكر الإناث ؟ قلت : لأنه ذكر البلاء في آخر الآية الأولى . وكفران الإنسان : نسيانه الرحمة السابقة عنده . . ثم ذكره بذكر ملكه ومشئته ، وذكر قسمة الأولاد ، فقدم الإناث ، لأن سياق الكلام أنه فاعل ما يشاؤه ، لا ما يشاء الإنسان ، فكان ذكر الإناث اللاتي من جملة ما لا يشاؤه الإنسان أهم ، والأهم أوجب التقديم . والبلاء : الجنس الذي كانت العرب تعده بلاء ، ذكر البلاء وآخر الذكور . فلما أخرهم لذلك تدارك تأخيرهم ، وهم أحق بالتقديم بتعريفهم ، لأن التعريف تنويه وتشهير ، كأنه قال : ويهب لمن يشاء الفريقين ، الأعلام المذكورين الذين لا يخفون عليكم . ثم أعطى بعد ذلك كلا الجنسين حظه من التقديم والتأخير ، وعرفان تقديمهن لم يكن لتقدمهن ، ولكن لمقتضى آخر فقال : { ذُكِرَ أَنَاً وَإِنِّ نَاثَاً } ، كما قال : { إِنِّ نَاثَاً خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ